المجوسية والمجوس ..

للدكتور على حسنى الخربوطلى
المدرس بقسم التاريخ

أسس الديانة المجوسية :

اشتهر الفرس — والجنس الآرى عامة — بأنهم ميالون إلى عبادة المظاهر الطبيعية ، فالسماء الصافية ، والضوء ، والنار ، والهواء ، والماء ينزل من السماء ، جذبت أنظارهم ، وجعلتهم يعبدونها ، على أنها كائنات إلهية ، وسمّوا الشمس « عين الله » والضوء « ابن الله » ، كما أن الظلمة والجدب ونحوهما كائنات إلهية شريرة ملعونة[1] .

عبد الفرس أول أمرهم ما عبده قدماء الآريين من قوى الطبيعة ، وخاصة الشمس التى تبدو لهم ظاهرة فى السماء ، وأسبغوا عليها صفات الألوهية ، واعتبروها أعظم الموجودات ، وأنها خير محض . ووقف الفرس أمام آلهة الخير يستمدون منهم المعونة ، يتوجهون إليها بالصلاة ويقدمون لها الضحايا . ورأوا أن آلهة الخير فى نزاع دائم مع آلهة الشر ، وأعمال الإنسان ، من صلاة ونحوها ، تعين آلهة الخير فى منازلتها آلهة الشر ، واتخذوا النار رمزاً للضوء ، وبعبارة أخرى رمزاً لآلهة الخير

(1) احمد امين : فجر الاسلام ص ٩٩ .

يشعلونها فى معابدهم ، حتى تقوى على آلهة الشر وتنتصر عليها ، وكانت هذه النار منبعا لخيال شعرى خصب .

عرف الشهرستانى[1] المجوس فقال : « المجوس وأصحاب الاثنين المانوية وسائر فرقهم المجوسية ، يقال لهم الدين الاكبر والملة العظمى ، إذ كانت دعوة الأنبياء بعد ابراهيم الخليل عليه السلام فى العموم كالدعوة الخليلية ولم يثبت لها من القوة والشوكة والملك والسيف مثل الملة الحنيفية إذ كانت ملوك العجم كلها على ملة ابراهيم ، وجميع من كان فى زمانه كل واحد منهم من الرعايا فى البلاد على أديان ملوكهم ، وكان لملوكهم مرجع هو موبذ موبذان أعلم العلماء وأقدم الحكماء يصدرون عن أمره ولا يرجعون إلا إلى رأيه ، ويعظمونه تعظيم السلاطين لخلفاء الوقت . وكانت دعوة بنى اسرائيل أكثرها فى بلاد الشام وما وراءها من المغرب ، وقل ما سرى من ذلك إلى بلاد العجم » .

الزرادشتية :

ظهر زرادشت — نبى الفرس — فدعا إلى تعاليم جديدة أسست على الديانة القديمة بعد إصلاحها . وزرادشت من قبيلة ميديا فى شمال غربى فارس ، وظهر أمره نحو منتصف القرن السابع قبل الميلاد ، ومات نحو سنة ٥٨٣ ق . م . بعد أن عاش ٧٧ سنة ، وكان موطنه أذربيجان ، ولكن أول نجاحه كان فى بلخ ، على أثر اعتناق الملك « بشتاسب » لدينه ، ثم انتشر دينه من بلخ إلى جميع أرجاء فارس .

وجوهر مبادىء زرادشت ، أن فى العالم حوادث كثيرة متنوعة : فمنها الخير ومنها الشر ، وهذه الحوادث لا توجد نفسها ، بل لابد لها من أصل

---

[1] الملل والنحل جـ ١ ص ٤٨ .

تستند عليه . ويرى زرادشت استحالة نسبة الخير والشر إلى أصل واحد . ولهذا كان من الضرورى عنده لتغير مايجرى فى العالم الإيمان بوجود قوتين متضادتين مختلفتين جوهرا وفعلا . فواحدة طاهرة مقدسة ، تفيض عنها الحياة والعناصر الطيبة وكل مافى الوجود من نور، والأخرى خبيثة دنسة ، تصدر عنها الآفات والأمراض، والهلاك والتدمير ، وكل ما ينزل بالإنسان من شر وبلاء . فالأولى تسمى (أهريمان) ومعناه إله الشر أو الشيطان . وقد ورد فى كتبهم المقدسة : أن (مزدا) قال لأهريمان) ما معناه «ليس علمنا ، ولا شرائعنا ، ولا مداركنا ، ولا كلماتنا ، ولا أفعالنا ولا حياتنا ، أنا وأنت ، متفقة فى شىء ، ولذا فنحن أضداد » .

وبين هذين الإلهين — مزدا وأهريمان — عداء دائم وحرب مستمرة . فهما يتنازعان الانسان ويحاول كل واحد منهما أن يكون له الغلبة دون صاحبه . ولكن فى النهاية يكون النصر لأهورا مزدا ، إله الخير والنور والقوة والحياة عندهم ، ويحمى جميع مافى العالم من شرور وفتن . جاء فى كتاب (الملل والنحل)[1] . « زعموا أن الدنيا كانت سليمة من الشرور والآفات والفتن ، وكان أهلها فى خير ونعيم خالص ، فلما وجد أهريمان حدثت الشرور والآفات والفتن » . وللفرق المختلفة آراء متباينة فى وجود (أهريمان وسببه وأصله وقدمه وحدوثه . وكان الفرس يعتقدون أن لكل واحدة من هاتين القوتين — مزدا وأهريمان — جنودا وأنصارا ، يأتمرون بأمرها وينفذون إرادتها فى الوجود .

تحدث (ماسبيرو) فى كتابه (تاريخ المشرق) عن مذهب الزرادشتية فقال : يرون أن مزدا قد خلق الأشياء بكلمة ، واتخذ لنفسه ستة أرواح

---

(١) الشهرستانى : الملل والنحل حـ ١ ص ٤٩ .

أو آلهة من طبقات عليا يعينونه على حفظ نظام العالم وتدبير شئونه — وهم المعروفون بأميشاسبنتاس — وهؤلاء الآلهة اتخذوا لهم جنودا من الأرواح يحكمون عليهم . وهم منتشرون فى الكون للمحافظة على بقاء أهله ودوران دولابه فجعل أهريمان — عكس ذلك — إله ظلمات وشرور ، وعارض الآلهة الست بستة أرواح شريرة تعادلها فى القوة والشوكة . وهؤلاء جعلوا لهم أعوانا من الأبالسة، وهم لا ينفكون عن محاصرة الكون، ومنع انتظام حركاته ، ولا يزال مستمراً بين هذه الأرواح المتكافئة فى العزيمة والبطش إلى انقضاء الزمن . ولا ينتهى كفاحها إلا بانقراض العالم ، إذ يتم النصر لأهورا مزدا .

لزرادشت كتاب مقدس يسمى (أفستا Avesta) وعليه شرح يسمى (زندافست) قال المسعودى[1] : « واسم هذا الكتاب (ألايستا) وإذا عرب أثبتت فيه قاف فقيل (الايستاق) وعدد سوره إحدى وعشرون سورة تقع كل سورة فى مائتى ورقة . . . وأنه كتب باللغة الفارسية الأولى وأن أحداً اليوم لا يعرف معنى تلك اللغة ، وإنما نقل لهم إلى هذه الفارسية شيء من السور فى أيديهم يقرءونها فى صلواتهم ، فى بعضها الخبر عن مبتدأ العالم ومنتهاه ، وفى بعضها مواعظ » .

وتحدث الشهرستانى[2] عن هذا الكتاب المقدس فقال : وله كتاب قد صنفه وقيل أنزل ذلك عليه وهو (زندوستا) يقسم العالم قسمين مينه) و(كيتى) يعنى الروحانى والجسمانى ، والروح والشخص . وكما قسم الخلق إلى عالمين يقول إن ما فى العالم ينقسم قسمين (بخشش) و (كنش) يريد به التقدير والفعل وكل واحد مقدر على الثانى . ثم يتكلم فى موارد التكليف

---

(١) مروج الذهب .
(٢) الملل والنحل

وحركات الانسان فيقسمها ثلاثة أقسام : (منش) و (كونس) و (كنش) يعنى بذلك الاعتقاد والقول والعمل . وبالثلاث يتم التكليف ، فإذا قصر الانسان فيها خرج عن الدين والطاعة ، وإذا جرى فى هذه الحركات على مقتضى الأمر والشريعة فاز الفوز الأكبر » .

كان الفرس يدينون بالبعث والنشور ، ويؤمنون بالحياة الآخرة ، ويعتقدون ان روح الميت الصالح إذا فارقت الجسد استقبلها الديان فى صورة فتاة حسناء تحف بها الأزهار ذات الرائحة الطيبة. وعندهم أن السراط فوق جهنم ، وأن الأشرار يقعون فى نار جهنم ، ويعنى أهريمان وجنده وجميع من فى الوجود من الأحياء ، ويبقى مزدا وسائر قوى الخير . ويرون أن نهاية العالم تتحقق عند اصطدام الأرض بكوكب نارى ، وعندئذ يجمع مزدا الخلائق ويعدهم بحياة جديدة .

من أبرز مبادىء زرادشت أن أشرف عمل للانسان الزراعة والعناية بالماشية ، فحبب إلى الناس أن يزرعوا ويعتنوا بماشيتهم، وأن يجدوا ويعملوا، حتى أنه حرم على أتباعه الصوم لأنه يضعفهم عن العمل . ويرى أن الماء والهواء والنار والتراب عناصر طاهره لا تنجس ، فقدس النار واتخذها رمزا ، وحرم تنجيس الماء الجارى ، وحرم دفن الموتى فى الأرض .

وإلى جانب هذه التعاليم الدينية ترى للديانة الزرادشتية أبحاثا فيما وراء المادة ، ولكن لم يكن بحثهم فيها شاملا — كالذى كان عند اليونان — بل كان بحثاً جزئياً متفرقا ، كذلك ترى لهم فى هذا خاصية تشبه التى كانت للعرب بعد الإسلام ، وهى امتزاج أبحاثهم — فيما وراء المادة — بالدين والتوفيق بينهما ، ولم يبحثوا فيها بحثاً مستقلا كما فعل اليونان مثلا[1] .

فمن أبحاثهم الفلسفية بحثهم فى النفس، فالديانة الزرادشتيه ترى أن نفس

---

(١) احمد امين : فجر الاسلام ص ١٠٣ .

الإنسان قد خلقها الله بعد أن لم تكن ، وتستطيع أن تنال الحياة الأبدية السعيدة إذا حاربت الشرور فى العالم الأرضى ، وقد منحها الله حرية الإرادة فهى تستطيع أن تختار الخير أو الشر . وللنفس الإنسانية قوى مختلفة : (١) الضمير أو الوجدان (٢) القوة الحيوية (٣) القوة العقلية (٤) القوة الروحية (٥) القوة الواقعية . وهذا النوع من الفلسفة يجعل الحياة ميدان جد وعمل .

تساءل العلماء والفلاسفة : هل دين زرادشت ثنوى يرى أن العالم يحكمه الهان : إله الخير وإله الشر ، وأن لكل إله ذاتا مستقلة ؟ أم هو موحد يرى أن العالم يحكمه إله واحد وأن الخير والشر مظهران لإله واحد . يرى كثيرون أنه ثنوى ، وقد ذهب إلى هذا الرأى بعض كتاب الفرنج ، ومنهم من كتب فى دائرة المعارف البريطانية مادة زرادشت ، ومنهم من يرى أنه موحد مثل الشهرستانى[1] والقلقشندى[2] ويذكر الأستاذ هوج (Haug) أن زرادشت كان من الناحية اللاهوتية موحداً ، ومن الناحية الفلسفية ثنويا .

سادت الديانة الزرادشتية فى بلاد فارس وماجاورها حتى انتصر الاسكندر المقدونى على الفرس سنة ٣٣١ ق . م فانحط شأنها . ثم نهضت فى عصر الأسرة الساسانية التى ابتدأ حكمها فى البلاد سنة ٢٢٦ م وبقيت الزرادشتيه دين الفرس حتى كان الفتح الإسلامى ، ففر بعض أتباعها إلى الهند حيث لا تزال طائفة (الفريسيين) منهم قائمة حتى الآن . وبقيت فئة فارس تقيم شعائر دينها وتوقد النار فى المعابد فى كل ولاية فارسية تقريباً من بعد انتشار الإسلام بنحو ثلاثة قرون للهجرة .

---

(١) الملل والنحل .
(٢) صبح الاعشى .

المانوية :

من أشهر المذاهب المانوية نسبة (مانى) مؤسس المذهب ، وهو رجل فارسى ولد سنة ٢١٥ او ٢١٦ م[1] . وكان لهذا المذهب أتباع كثيرون فى آسيا وأوربا ، يتمسكون بمبادئه على الرغم من الاضطهادات ، إلى أواخر القرن ١٣ م (٧ هـ) .

التعاليم المانوية مزيج من الفلسفة الفارسية القديمة والمبادىء المسيحية ، وقد وصفها (براون) [2] بأنها زردشتية منصرة أكثر منهـــا نصرانية مزردشة . يرى مانى أن العالم نشأ عن أصلين : النور والظلام . فنشأ عن النور كل خير ، وعن الظلام كل شر فى العالم . وقد امتزج الخير بالشر امتزاجا تاما . وما يصدر عن الإنسان من خير فصدره اله الخير ، وما يصدر من شر فمصدره إله الشر .

هذه التعاليم تشابه إلى حد كبير تعاليم زرادشت ، ولكنهما يختلفان فى أمر جوهرى . ذلك أن زرادشت كثير الأمل فى المستقبل ، فهو يتوقع أن يتغلب الخير على الشر وإن طال الأمر . ومن هنا أخـــذ (برجسون) الفيلسوف الإسرائيلى فى العصور الأخيرة فلسفته ، ويتابعه فيها الفيلسوف الألمانى (نيتشه) الذى ألف كتاب (زوراواستر) الذى أعجب به (هتلر) واتخذه مثالا لفلسفة ، حيث قال نيتشه بارادة القوة ، وأراد نيتشه معنويتها ، فعكسها هتلر إلى الفكرة المادية . وكان مستمد الاثنين — نيتشه وهتلر — فى الحقيقة فلسفة (شوبنهاور) بمذهبه فى الإرادة .

كان زرادشت متفائلا ، أما مانى فكان متشائما يائسا يرى أن هذا

---

(١) البيرونى : الآثار الباقية .

(٢) Lit. Hist. of Persia.

الامتزاج لامخلص منه إلا بالموت. يرى زرادشت أن يعيش الإنسان حياة طبيعية ، فيتزوج وينسل ، ويعنى بزرعه ونسله وما شيته ويقوى بدنه ولا يصوم وأنه بهذه المعيشة ينصر إله الخير على إله الشر . أما مانى فإنه ينزع منزعا آخر هو أشبه ما يكون بالرهبنة . وقد كان مانى — كما يقولون — راهبا بحرّان ، فرأى أن امتزاج النور بالظلمة فى هذا العالم شر ، ومن أجل هذا حرم النكاح حتى يستعجل الفناء ، ودعا إلى الزهد ، وشرع الصيام سبعة أيام أبدا فى كل شهر ، وفرض صلوات كثيرة ، يقوم الرجل فيمسح بالماء ، ويستقبل الشمس قائما ، ثم يقوم ويسجد وهكذا اثنتى عشرة سجدة ، ويقول فى كل سجدة منها دعاء ، ونهى أصحابه عن ذبح الحيوان لما فيه من إيلام ، وأقر بنبوة عيسى وزرادشت ، وقال إن (مانى) النبى الذى بشر به عيسى .

يرى مانى أن وجود الإنسان جناية جناها أهله ويجب انقراضه ، ويشابه أبو العلاء المعرى تشابها كبيراً ، وفلسفة مانى فلسفة تشاؤمية تتفق مع فلسفة (شوبنهاور) فى العصور الحديثة . وأمر مانى أتباعه بعدة أوامر أو ذكرها الشهرستانى [1] : « وقد فرض مانى على أصحابه العشر فى الأموال والصلوات الأربع فى اليوم والليلة ، والدعاء إلى الحق وترك الكذب والقتل والسرقة والزنا والبخل والسحر وعبادة الأوثان . وأن يأتى على ذى روح ما يكره أن يؤتى إليه بمثله » .

اعتنق هرمز ملك الفرس مذهب مانى وأيده ، ودخل فى دينه كثير من الناس ، فلما مات هرمز وخلفه بهرام الأول لم يرتح الى تعاليمه وقتله وشرد أصحابه ، ولكن لم تمت تعاليمه ، وكان لدينه أئمة يتعاقبون ، وكان مركز الإمام أولا فى بابل ، ثم تحول الى سمرقند .

---

(١) الملل والنحل .

المزدكية .

ظهر فى القرن الخامس الميلادى (حوالى سنة ٤٨٧ م) رجل فارسى من أهل نيسابور دعا الناس الى مذهب ثنوى (ثنائى) جديد ، فكان يقول بالنور والظلمة . ولكنه تميز بدعوته الى الاشتراكية المتطرفة أو الشيوعية فكان يرى أن الناس ولدوا سواء فليعيشوا سواء ، وأنه ليس هناك مبرر للتفرقة بين شخص وآخر ، وأهم ما تجب فيه المساواة المال والنساء . كان مزدك ينهى الناس عن البغض والحسد والقتال ، وجعل علاج هذه الأمور أن يبيح النساء والأموال ، بل جعلها شركة شائعة بين الناس جميعا يشتركون فى الماء والنار والكلأ والهواء [1] .

تحدث الطبرى [2] عن المزدكية فقال : « قال مزدك وأصحابه إن الله جعل الأرزاق فى الأرض ليقسمها العباد بينهم بالتآسى ، ولكن الناس تظالموا فيها وزعموا أنهم يأخذون للفقراء من الأغنياء ، ويردون من المكثرين على المقلين ، وأن من كان عنده فضل من الأموال والنساء والأمتعة ، فليس هو بأولى من غيره ، فافترض السفلة ذلك واغتنموه وكانفوا مزدك وأصحابه وشايعوهم فابتلى الناس بهم ، وقوى أمرهم ، حتى كانوا يدخلون على الرجل فى داره فيغلبونه على منزله ونسائه وأمواله ، وحملوا (قباذ) على تزيين ذلك وتوعدوه بخلعه ، فلم يلبثوا إلا قليلا حتى صاروا لا يعرف الرجل منهم ولده ولا المولود أباه ، ولا يملك الرجل شيئا مما يتسع به .. وكان مما أمر به الناس وزينه لهم وحثهم عليه ، التآسى فى أموالهم وأهليهم » .

قارن الشهرستانى [3] بين المزدكية والمانوية فقال : « إن قول المزدكية

---

(١) الشهرستانى : الملل والنحل حـ ١ .

(٢) تاريخ الطبرى حـ ٢ ص ٨٨ ومابعدها .

(٣) الملل والنحل حـ ١ .

كقول كثير من المانوية فى الكونين والأصلين ، الا أن مزدك كان يقول، إن النور يفعل بالقصد والاختيار والظلمة تفعل على الخبط والاتفاق ، والنور عالم حساس والظلام جاهل أعمى ، وأن المزاج كان على الإتفاق والخبط لا بالقصد والاختيار . وكذلك الخلاص انما يقع بالاتفاق دون الاختيار ... ومذهبه فى الأصول والأركان أنها ثلاثة : الماء والنار والأرض. ولما اختلطت حدث عنها مدبر الخير ومدبر الشر ، فما كان من صفوفهامدبر الخير ، وما كان من كدرها فهو مدبر الشر .. » .

اعتنق المزدكية آلاف من الناس إرضاء لشهواتهم ، ولكن قباذ نكل بمزدك وأتباعه ، فدبر لهم مذبحة سنة ٥٢٣ م . كاد يستأصلهم بها .

الديصانية :

أتباع ديصان ، ويقولون بأن للعالم أصلين : النور والظلام . فالنور يفعل الخير قصدا واختيارا والظلام يفعل الشر طبعا واضطرارا . والخير مصدره النور والشر مصدره الظلام . والنور حى عالم قادر حساس ومنه يكون الحركة والحياة . والظلام ميت جاهل عاجز وجماد لا فعل ولا تمييز .

فرق مجوسية أخرى :

ترى فرقة المرقونية أن للعالم ثلاث أصول ، النور والظلمة والثالث هو المعدل الجامع ويعرفه الشهرستانى[1] بانه « سبب المزاج، فان المتنافرين المتضادين لا يمتزجان إلا بجامع » . ويحرم المرقونية النكاح وذبح الحيوان. أما فرقة الكينوثية فترى أن الأصول ثلاثة : النار والأرض والماء . فالنار مصدر الخير باعتبارها مضيئة ، والماء مصدر الشر لأنه يطفىء النار، والأرض

---

(١) الملل والنحل حـ ١

وسط بين بين الإثنين . أما فرقة الصيامية فهم من أمسكوا عن طيبات الحياة وتفرغوا لعبادة النيران ، وأمسكوا عن النكاح والذبائح . . أما فرقة التناسخية فقالوا بتناسخ الأرواح فى الأجساد، وما يترتب على ذلك من راحة الروح أو تعبها، فيثاب المحسن بالراحة، ويعاقب المذنب بانتقاله إلى جسد آخر يلقى فيها التعب ، فكأن هذه الأبدان هى الجنة والنار .

موقف الأكاسرة الساسانيين من المجوسية :

يظن البعض أن الساسانيين لكثرة خوضهم غمار الحرب مع الروم أو الترك قوم لاهمّ لهم إلا الحرب مثل الأشوريين والأسبرطيين والترك العثمانيين . ولكن الحقيقة غير ذلك ، فإن عظمة الساسانيين الحقيقية تتجلى زمن السلم أكثر مما تتجلى زمن الحرب . لقد كان لهم سياسة داخلية مقررة محكمة تدل على أن ملوكهم كانوا رجالا موفورى الحظ من الخبرة العملية يشؤون الناس وعلى علم تام بطبائعهم . فمن أسس هذه السياسة عملهم على التمكين للنظام الملكى فى فارس وجعله عقيدة تملك على الشعب الإيرانى لبه وقلبه على السواء ، فألقوا فى نفسه أنه سلالة الملوك الكيانيين العظام الذين كانوا يحكمون فى الأرض بتفويض من إله النور[1] .

كان الفرس ينظرون إلى ملوكهم كأنهم كائنات الهية اصطفاهم الله للحكم بين الناس وخصهم بالسيادة وأيدهم بروح من عنده ، فهم ظل الله فى أرضه ، أقامهم على مصالح عباده ، وليس للناس قبلهم حقوق ، وللملوك على الناس السمع والطاعة . وهو معنى يشبه ما عرف فى أوروبا بنظرية الحق الالهى[2] وسادت فيها فى القرنين السادس عشر والسابع عشر .

---

(١) العبادى : صور من التاريخ الاسلامى ص ٨٩ .

(٢) Divine Right.

ويذكر (براون[١]) : « لم تعتنق نظرية الحق الالهى بقوة كما اعتنقت فى فارس فى عهد الملوك الساسانية » . وقد كان الأكاسرة يزعمون أن لهم الحق وحدهم أن يلبسوا تاج الملك بما يجرى فى عروقهم من دم إلهى[٢] .

من الأسس التى عنى بها الساسانيون لمصلحة الملك والرعية على السواء الدين . والدين الفارسى القديم هو الزرادشتية التى ظهرت قبل الدولة الساسانية بأزمان طويلة . ولقد أدرك الساسانيون القيمة العملية لهذه الديانة فعملوا من أول أمرهم على مناصرتها وجعلها الديانة القومية للأمة الفارسية ، فأنشأوا فى كل مدينة ، بل فى كل قرية ، بيوت النار حيث يعبد الناس النار ، مبعث النور الذى هو رمز الخير وطاردة الظلمة التى هى رمز الشر . وقد أدتهم تلك العناية بالدين الزرادشتى إلى رفع شأن رجاله المعروفين بالموبذين على سائر رجال الدولة .

فلما ظهر مانى ، ودعا إلى مذهبه ، وهو مذهب سلبى يرى الخير فى الزهد وعدم الإنتاج والإمتناع عن الزواج والنسل ، فإن بهرام الأول (٢٧٣ – ٢٧٦م) تجرد لمحاربته فقتل مانى ونكل بأصحابه شر تنكيل وقد قابل رجال الدين الزرادشتى هذا الصنيع من الساسانيين بأن أيدوا سلطانهم السياسى بما لهم على الشعب من نفوذ روحى عظيم .

ومن المبادىء المقررة فى سياسة الساسانيين الداخلية المحافظة التامة على النظام الاجتماعى الفارسى القديم القائم على الأسرة والملكية . فلما ظهر مزدك فى أوائل القرن الخامس ، ودعا إلى نحلته الشيوعية الهادمة لنظامى الأسرة والملكية ، وافتتن بها العامة ، فإن كسرى أنوشروان تجرد لمحاربة

---

(١) Hist. of Persia

(٢) أحمد أمين : فجر الاسلام ص ١١١ .

تحلته ، فقضى على مزدك وأتباعه كما قضى من قبل بهرام الأول على مانى وأصحابه[1] .

إن انتصار الدولة الفارسية للزرادشتين والمبالغة فى رفع أقدار رجالها قد أدى فى نهاية الأمر إلى قيام طبقة كهنوتية متعصبة مستبدة لا تعرف الرفق بالناس فى مسائل الدين ، ولا التسامح نحو أهل الديانات الأخرى التى كان يعتنقها فى فارس جماعات كبيرة .

يرى (أرنولد)[2] أن مما أثار غضب الأهالى الفرس وجعلهم ينظرون إلى حكامهم نظرة تنطوى على الكراهية والبغضاء ، أن هؤلاء الحكام كانوا يناصرون ديانة زرادشت التى غدت دين الدولة الرسمى ، والتى كانت من قبل بغيضة عند الأهالى ، ويفسحون المجال لكهنتها ، حتى أصبح لهم نفوذ كبير فى الدولة ، وصاروا على جانب عظيم من القوة فى مجالس الملك وادعوا أن لهم نصيبا كبيرا فى ادارة الشؤن المدنية ، واستغلوا نفوذهم فى اضطهاد كل الديانات المخالفة لهم . فإلى جانب هذه الجماعات الكثيرة من معتقدى المذاهب الفارسية القديمة ، كانت هناك طوائف من المسيحيين واليهود والصابئة وأحزاب مختلفة . تأثرت بتأملات الأوربيين والبوذيين والمانوية . وقد أثار هذا الاضطهاد شعور الكراهية المريرة الذى أحسه الشعب الفارسى نحو هذا الدين الذى تغلغل فى بلاد الفرس ، ونحو تلك الدولة التى وقفت من ذلك الاضطهاد موقف الرضا والتشجيع ، كما كان ذلك علة ذلك الانتصار الذى حالف الفتح العربى ، وجعله يظهر فى صورة تخليص الأهالى الفرس مما أصبحوا فيه .

لماذا اضطهد الساسانيون المانوية ؟ دعا بهرام إلى قتل مانى وأصحابه

---

(١) رانولد : الدعوة الى الاسلام ص ٢٣٦ .
(٢) العبادى ص ٩١ .

الناحية العملية ، فقد كان زرادشت يدعو إلى العمال ، وكان فى تعاليمه مؤيدا للقومية والنزعة الحربية ، مما يتفق وميول فارس إذ ذاك، وعلى العكس من ذلك تعاليم مانى ، فهى أميل إلى الزهد والرغبة عن ملاذ الحيـــاة واستعجال الفناء ، وهى — ولاشك — فى منتهى الخطورة لمملكة حربية كفارس .

المجوس فى عصر الخلفاء الراشدين والأمويين .

لم يكد ينتصف القرن السابع الميلادى حتى كانت الأسرة الساسانية قد سقطت ، ودخلت فى حوزة المسلمين تلك الإمبراطورية الفـارسية الشاسعة ، التى ناهضت روما وبيزنطة أربعة قرون . ولما تشتت شمل جيوش الدولة الفارسية . لم يلق المسلمون مقاومة تذكر من الشعب الفارسى الذى كان قد استبد بحكمه ممثلو الدولة الساسانية فى أواخر أيامها استبدادا يتميز بكثير من ضروب الفوضى والظلم .

رأينا كيف غضب الفرس لمناصرة الحكام الساسانيين لديانة زرادشت وافساح المجال لكهنتها حتى أصبح لهم نفوذ كبير فى الدولة ، ثم اضطهدوا كل الديانات الأخرى . ولذا نرى الفرس بعد انتصار المسلمون يتنفسوا الصعداء : فأقبلوا يرحبون بالعرب ، حبا فى الخلاص من ظلم الحكام أولا ، ورغبة فى اعفائهم من الخدمة العسكرية ثانيا ، ثم أملا فى تمتعهم بالحرية الدينية آخر الأمر ، وذلك لأن الإسلام كان يبيح لغير المسلمين من يهود ومسيحيين ، ومن زرادشتين وصابئة أن يتدينوا بما يرضون لأنفسهم من دين على أن يدفعوا للمسلمين الجزية . ولقد قيل إن الرسول أوصى بالزرادشتين خيرا وأمر المسلمين أن يعاملوهم معاملة أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى ، وأن تؤخذ منهم الجزية كذلك كفاء حمايتهم . ويرى أرنولد أن هذا الحديث قد ذاع فى القرن الثانى للهجرة حين تلمس المسلمون حديثا نبويا يبيح

التسامح الدينى فى معاملة أهل الديانات المختلفة الأخرى التى وجدها العرب فى البلاد التى فتحوها ، سواء أدخل معتنقوا هذه الديانات فى عداد أهل الكتاب أم لم يدخلوا .

لم يكتف العرب الفاتحون بإسقاط الدولة الساسانية ، بل أزالوا نظام الطبقات والدين اللذين كانا مسيطرين فى ايران قبل الإسلام ، فلم يبق من المعتنقين للزرادشتية القديمة إلا قليل من الأتباع يسمون « كبر » أو « پارث » وعددهم قليل . على أن الأسلام لم يكن خاليا من تأثير فيهم أيضا ، فإن وحدة الإله التى جاء بها الإسلام انتصرت على العقائد الزرادشتية القديمة . وزالت عادة زواج الأب من البنت والأم من الإبن والأخ من الأخت التى تبعها الزرادشتية ولو أن الايرانيين وبالأخص الـ « كبر » لم يحجموا مدى القرون الوسطى عن ادعاء « عدم وجود الزواج من الأقارب فى العقائد المجوسية » فى فارس مخالفين بذلك الحقيقة الواقعة .

وصفت كثير من الأمور التى ترجع إلى تاريخ فارس قبل الإسلام فى صور جميلة كهذه ولكنها بعيدة عن الحقيقة وقد كانت عظمة قصور الساسانيين وشوكة دولتهم ، وعقل الملوك والوزراء وتدبيرهم ، وحضارة البلاد ، موضع إعجاب الفرس المسلمين وغبطتهم دائما . ولقد انفقوا أنواعا من شجرات النسب الخيالية ليصلوا رجال الإسلام العظام بتاريخ الساسانيين بأى شكل [1]

ضاع استقلال فارس بالفتح العربى الاسلامى ، وأصبحت ولاية عربية اسلامية ووقع كثير من الفرس فى أيدى العرب أسرى واسترق بعضهم ووزع على العرب ، ودخل كثير من الفرس فى الاسلام ، وتعلم كثير منهم اللغة العربية ، حتى كان منهم فى الجيل الثانى من يتكلم العربية كأحد

---

(١) بارتولد : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ٩٥ .

أبنائها ،ولكن برغم هذا كله لم يمسخوا فى جملتهم كالعرب فى عقيدتهم ، ولا كالعرب فى مطامعهم وطموحهم ونزعاتهم ، ولا كالعرب فى عقليتهم بل اعتنقوا الاسلام فصبغوه بصبغتهم الفارسية، ولم يتجردوا من كل عقائد الدين القديم وتقاليده، ففهموا الاسلام بالقدر الذى يسمح به دين قديم اعتنقه قومه أجيالا ونشأ فيه ناشئهم وشب عليه ، وكذلك تعلم الكثير منهم العربية ولكن لم يترك خياله الفارسى.ولم ينس ما كان لقومه من شعر ومثل وحكمة.

كان من أثر ذلك طبيعيا أن تدخل تعاليم فى الاسلام جديدة، ونزعات دينية جديدة ، ظهر أثرها فيما بعد ، وأظهرها فى الاسلام التشيع والتصوف، وكان من أثر ذلك أيضا أن يغمر الأدب العربى بالحكم والقصص الفارسية [1]

لم يتخذ المسلمون الحروف العربية وحدهم بل اتخذها الزرادشتيون أيضا، فنشأت لغة فارسية حديثة ومحتوية على كثير من الكلمات العربية . أما بقايا الآداب الفهلوية القديمة فقد كثر الغلط فى فهمها ، لأنها فهمت بصعوبة كثيرة وبدراسات العلماء الأوروبيين [2]

كانت لغة الفرس فى عهد الدولة الساسانية هى اللغة الفهلوية ، و «زند» الذى هو شرح للأفستا مكتوب بهذه اللغة ، وكان لهذا الكتاب الدينى أثر فى حفظها . ولكن لم يصل إلى عصرنا هذا كثير من ثروة الفرس الأدبية الفهلوية التى كانت منتشرة فى الدولة الساسانية وصدر الإسلام والسبب فى ذلك أن دين الاسلام ظفر بدين زرادشت وحل محله ، كما حلت اللغة العربية والحروف العربية محل اللغة الفهلوية والحروف الفهلوية ، فذهاب الحكومة الفارسية ودينها ، وحكمها بالعرب ، وتحولها من مملكة إلى ولايات إسلامية ، ودخول كثير من الفرس فى الاسلام ، واضطراهم إلى تعرف

---

(١) احمد أمين : فجر الاسلام ص ٩٨ .
(٢) بارتولد : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ١٩٩ .

اللغة العربية ، للدين أو الدنيا أولهما معا ، وازدراء المسلمين لبيوت النيران التى هى شعائر الثنوية ، كل هذا عرض الديانة الفارسية واللغة الفهلوية للاضمحلال ثم الفناء[1] .

رحب سكان المدن ، وخاصة الصناع وأصحاب الحرف وأهل الطبقة العاملة بالدين الاسلامى ، واعتنقه عدد عظيم منهم فى حماسة كبيرة وذلك لما تتطلبه أعمالهم من تركهم ديانة زرادشت وتقبيح عبادة النار والأرض والماء ، وهم الذين كان ينظر اليهم أمام القانون باحتقار وازدراء ، ولما فى اعتناقهم الاسلام أيضا من تركهم فى الحـــال أحراراً ومساواتهم فى المذهب الدينى .

لم يكن إرتداد الفرس الزرادشتيين عن ديانة زرادشت بالأمر الصعب ، فقد تبع سقوط الأسرة الساسانية تدهور هذه الديانة ، حتى إنه لم يعد لأتباعها هناك مركز يجتمعون حوله ، فوجدوا السبيل سهلا ميسورا لتدينهم بالإسلام . ويرى أرنولد[2] أن تشابه الإسلام والزرادشية فى بعض الوجوه قد مهد الطريق أمام الزرادشتيين لاعتناق الاسلام . فالفارسى يستطيع فى رأى أرنولد — أن يجد فى القرآن كثيرا من التعاليم الأساسية فى ديانته القديمة وإن كان ذلك بصورة مختلفة كثيرا . وبعبارة أخرى فإنه يعادل بدل إسم (أهورمزدا) و (أهرمان) فى ديانته القديمة إسم الله وابليس فى القرآن ، كما يجد أيضاً أن الله خلق العالم فى ستة أيام ، ويقرأ عن الملائكة والشياطين ، كما يقرأ قصة براءة الانسان القديم ، وبعث الجسد بعد الموت ، والاعتقاد بوجود الجنة والنار . بل هناك تشابه فى تفصيلات العبادة اليومية ، فأصبح على أتباع زرادشت بعد اعتناقهم الاسلام أن

---

(١) أحمد أمين : فجر الاسلام ص ١١٣ .
(٢) الدعوة الى الاسلام ص ٢٢٧ .

يؤدوا على وفق تعاليم دينهم الجديد ، الصلاة خمس مرات فى اليوم كما كانوا يفعلون من قبل على وفق كتابهم الدينى القديم المسمى (أفستا) . وكانت هذه القبائل التى تقيم شمال فارس ، والتى قاومت النظام الكنسى لدين الدولة الرسمى فى عناد مستمر بحجة أن كل شخص كان قسيسا فى بيته ، وأنه لم يكن به من حاجة لأى واعظ آخر ، ثم لاعتقاده بوجود كائن أعظم وبخلود الروح، ولأنه عرف أن الانسان يجب أن يحب الخير لجاره، وأن يكبح جماح شهواته ويسعى فى صبر وأناة إلى حياة أفضل ولا غرو فإن أمثال هؤلاء الناس ليسوا بحاجة الى كثير من الاقناع لهم على قبول الإسلام[1] .

والى جانب هذا العامل الدينى الذى أدى الى سرعة انتشار الاسلام بين الفرس والمجوس ، كان ثمة عامل آخر ، هو الشعور السياسى والوطنى للشعب الفارسى. فقد تأثروا بزواج الحسين بن على من (شاهبانو) احدى بنات يزوجرد وآخر ملوك الأسرة الساسانية. وقد رأى الفرس فى أولاد شاهبانو والحسين وارثين لملوكهم الأقدمين ، كما رأوا فيهم ورثة لتقاليدهم القومية. وهذا الشعور الوطنى يفسر لنا تعلق الفرس الشديد بعلى ابن أبى طالب من جهة ، كما يفسر لنا ظهوره فى فارس حزبا منفصلا من جهة أخرى .

يؤكد أرنولد[2] أن القوة والعنف لم تكن السبب فى اتساع نطاق تحويل الناس إلى الاسلام، بدليل هذه المعاملة التى عامل بها العرب من ظل من الفرس على تمسكه بدينه القديم . ولا يزال إلى الآن فى بعض جهات فارس بعض جماعات صغيرة من عبدة النار . ومع أنهم قاسوا فيما بعد كثيرا من الاضطهادات، كان أسلافهم فى القرون الأولى للهجرة يتمتعون بقسط وافر من الحرية. وبالنظر إلى الحقائق التاريخية السابق ذكرها يكون من المستحيل

---

(١) يشارك ارنولد فى هذا الرأى ايضا كل من دوزى ودى جوبينو .
(٢) الدعوة الى الاسلام ص ٢٣٨ .

قطعاً أن نقول إن اضمحلال ديانة زرادشت كان سببه أن الفاتحين المسلمين استعانوا بالقوة على حمل الناس على اعتناق الاسلام . من المحتمل أن يكون عدد أهالى فارس الذين اعتنقوا هذا الدين فى السنين الأولى من الحكم العربى كبيرا جداً للأسباب المختلفة التى ذكرناها . بل إن فى بقاء مذهبهم القديم وما أثر عن ارتداد الناس عنه تدريجيا فى خلال القرون المتتابعة مما يقوى فى نفوسنا ماذهبنا اليه من احتمال تدينهم الاسلام بمحض اختيارهم وفى جوّ من الهدوء والسلام .

أما عن معاملة المسلمين للمجوس من الناحية المالية ، فقد اختلف المؤرخون فى اعتبار المجوس من أهل الكتاب . فالماوردى[١] يذكر أن « أهل الكتاب هم اليهود والنصارى وكتابهم التوراة والانجيل ويجرى المجوس مجراهم فى أخذ الجزية منهم وإن حرم أكل ذبائحهم ونكاح نسائهم . وتؤخذ من الصابئة والسامرة إذا وافقوا اليهود والنصارى فى أصل معتقدهم » ويؤكد البلاذرى[٢] أن المجوس من أهل الكتاب ، فيروى أن عمر بن الخطاب جلس إلى بعض صحابة الرسول فقال : ما أدرى كيف أصنع بالمجوس ؟ فوثب عبد الرحمن بن عوف فقال : أشهد على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (سنوا بهم سنة أهل الكتاب) أما الشهرستانى[٣] فذكر أن المجوس لهم شبهة كتاب ، ولكن الثابت تاريخيا أن الرسول صالح مجوس أهل هجر على أن يأخذ منهم الجزية[٤] فذكر أبى عبيد[٥] « كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مجوس هجر ، يدعوهم إلى الاسلام ،

---

(١) الاحكام السلطانية ص ١٣٧ .
(٢) فتوح البلدان ص ٢٧٦ .
(٣) الملل النحل حـ ١ ص ٤٨ .
(٤) أبو يوسف : الخراج ص ٧٤ .
(٥) الاموال ص ٢١ .

فمن أسلم قبل منه ومن لا ضربت عليه الجزية ، على أن لا تؤكل له ذبيحة ولا تنكح له امرأة . كما صالح الرسول أهل البحرين ومعظمهم من المجوس، وأمر عليهم العلاء بن الحضرمى وبعث أبا عبيدة بن الجراح ليجمع الجزية منهم[١] .

روى أبو يوسف : « عن على ابن أبى طالب كرم الله وجهه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر أخذوا الجزية من المجوس . قال على كرم الله وجهه : وأنا أعلم الناس بهم ، كانوا أهل كتاب يقرأونه ، وعلم يدرسونه فنزع من صدورهم » .

كان أخذ الجزية من المجوس واعتبارهم من أهل الكتاب سببا لاثارة كثير من الجدل والنقاش، فروى أبو يوسف[٢] « أن فروة بن نوفل الأشجعى قال : إن هذا لأمر عظيم ، يؤخذ من المجوس بالجزية وليسوا بأهل كتاب ؟ قال : فقام إليه المستورد بن الأحنف فقال : طعنت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتب وإلا قتلتك والله . وقال : قد أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من مجوس أهل هجر الجزية ، قال: فارتفعنا الى على بن أبى طالب كرم الله وجهه فقال : سأحدثكما بحديث ترضيانه جميعا عن المجوس : إن المجوس كانوا أمة لهم كتاب يقرأونه ، وأن ملكا لهم شرب حتى سكر فأخذ بيد أخته فأخرجها من القرية واتبعه أربعة رهط فوقع عليها وهم ينظرون اليه ، فلما أفاق من سكره قالت له أخته إنك صنعت كذا وكذا وفلان وفلان وفلان ينظرون اليك . فقال : ما علمت بذلك . فقالت : فانك مقتول ولا نجاة لك إلا ان تطيعنى ، قال : فإنى أطيعك ، قالت : فاجعل هذا دينا وقل هذا دين آدم ، وقل حواء من آدم ، وادع

---

(١) الاموال ص ٢٣ .
(٢) الخراج ص ١٢٩ .

الناس اليه واعرضهم على السيف فمن تابعك فدعه ومن أبى فأقتله ففعل ، فلم يتابعه أحد فقتلهم يومئذ حتى الليل. فقالت له : إنى أرى الناس قد اجترؤا على السيف وهم على النار لكع فأوقد لهم نارا ثم اعرضهم عليها ، ففعل، فهاب الناس النار فتابعوه .قال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه : فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخراج لأجل كتابهم وحرم مناكحتهم وذبائحهم لشركهم » .

وكان هناك من المسلمين من يرى أن المجوس ليسوا من أهل الذمة فلا يجوز أخذ الجزية منهم . فروى أبو عبيد[1] أن أبا موسى الأشعرى قال : لولا أنى رأيت أصحابى يأخذون من المجوس الجزية ما أخذتها . وكتب عمر ابن عبد العزيز إلى الحسن يسأله : ما بال من مضى من الأئمة قبلنا أقروا المجوس على نكاح الأمهات والبنات ؟ وذكر أشياء من أمرهم قد سماها . فكتب إليه الحسن : أما بعد ، فإنما أنت متبع ولست بمبتدع . وكتب عمرو ابن الحرث إلى ربيعة بن عبد الرحمن يسأله عن المجوس : وكيف يثبت عليهم الجزية ؟ وكيف تركوا مشركى العرب ؟ فكتب ربيعه : قد كان لك فى أمر من قد مضى مايغنيك عن المسئله عن مثل هذا .

ظل الولاة الأمويون يجمعون الجزية من المجوس مثل سائر أهل الذمة ، وقد حفظ أبو يوسف[2] لنا خبر أخذ عدى بن أرطأة عامل الخليفة عمر بن عبد العزيز فى العراق الجزية من المجوس .

يرى كل من المرحوم الأستاذ عبد الحميد العبادى ، والمرحوم الأستاذ أحمد أمين أن أباذر الغفارى كان متأثراً فى بعض مبادئه ببعض آراء مزدك. فيقول الأستاذ العبادى[3] : وعندى أن حركة أبى ذر الاشتراكية تمت

---

(١) الاموال ص ٣٦ .
(٢) الخراج ص ١٣١ .
(٣) صور من التاريخ الاسلامى ص ١١٤ .

بسبب قوى إلى حركة مزدك الشيوعى الذى ظهر بفارس على عهد قباذ وكسرى أنو شروان ، والذى كاد يقلب نظام المجتمع الفارسى رأسا على عقب لولا عزم أنو شروان وحزمه » .

أما الأستاذ أحمد أمين[1] فيقول « تلمح شبه بين رأى أبى ذر الغفارى وبين رأى مزدك فى الناحية المالية » . ويؤيد رأيه برواية للطبرى[2] جاء فيها عن أبى ذر أنه « قام بالشام وجعل يقول : يامعشر الأغنياء واسوا الفقراء، بشر الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله بمكاو من نار تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، فما زال حتى ولع الفقراء بمثل ذلك وأوجبوه على الأغنياء ، وحتى شكا الأغنياء ما يلقون به والناس » . ويتهم الطبرى أبا ذر بأنه تلقى تعاليمه عن عبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء، وكان يهوديا من صنعاء تظاهر بالإسلام فى عهد عثمان بن عفان . وحاول أن يفسد على المسلمين دينهم ، وبث فى البلاد عقائد كثيرة ضارة ، ونشر مبادئه فى الحجاز والبصرة والكوفه والشام ومصر . ويعلق الأستاذ أحمد أمين على آراء أبى ذر ، فيقول : فمن المحتمل القريب أن يكون قد تلقى هذه الفكرة من مزدكية العراق أو اليمن ، واعتنقها أبو ذر حسن النية فى اعتقادها وصبغها بصبغة الزهد التى كانت تجنح إليها نفسه ، فقد كان من أتقى الناس وأورعهم وأزهدهم فى الدنيا ، وكان من الشخصيات المحبوبة التى أثرت فى الصوفية »

تميز العصر العباسى بشيوع لفظ « الزندقة » وارتباطه بالمجوسية فى معظم الأحيان ، وإن كان هذا اللفظ قد شاع فى أواخر العصر الأموى إلا أن ذلك كان على نطاق محدود . فى العصر الأموى ، اتهم عبد الصمد

---

(١) فجر الاسلام ص ١١٠ .
(٢) الطبرى حـ ٥ ص ٦٦ .

ابن عبد الأعلى مؤدب الوليد بن يزيد بن عبد الملك بالزندقة فى العصر الأموى، وأتهم الوليد بن يزيد كذلك ، كما كان الجعد بن درهم الذى ينسب اليه مروان ابن محمد آخر خلفاء بنى أمية ، فيقال مروان الجعدى زنديقا . وقد ذكر ابن النديم (١) « أن الجعد كان مؤدبا لمروان ولولده، وأنه أدخله فى الزندقة وكان خالد بن عبدالله القسرى ، على الرغم من اتهامه بالزندقة شديدا على الزنادقة ، حتى أنه حبس الجعد بن درهم وقتله يوم عيد الأضحى فى عهد هشام ابن عبد الملك الأموى .

ويرجع السبب فى عدم انتشار الزندقة فى العصر الأموى ، أن الدولة الأموية كانت دولة عربية دما ولحما ، فالخليفة عربى يختار ولاته من العرب، ويحرص على صبغ الدولة فى شتى النواحى بالصبغة العربية . بينما الموالى فى منزلة أدنى بكثير من العرب . ليس لهم من أمر الدولة شىء . والعرب لا تعرف الزندقة كثيراً ولا تميل اليها ، فهم مطمئنون إلى ملكهم وإلى دينهم. فلما قامت الدولة العباسية انتعش الموالى وخاصة الفرس ، وأصبح أكثر السلطان فى أيديهم ، وغلبوا على العرب ، وقد كانت لهم ديانات سابقة لم ينسوها جميعها لما اعتنقوا الاسلام ، وكانوا لا يجرءون فى الحكم الأموى أن يرفعوا أصواتهم، فكان همهم الأول أن يتحرروا سياسيا لا دينيا، فكانت دعوتهم السرية واجتماعاتهم وتدابيرهم للسياسة لا للدين ، والزندقة إنما هى فى الدين لا فى السياسة ، فلما نجحوا واطمأنوا وغلبوا بدأت تلعب فى رؤسهم الديانات القديمة والجديدة فكانت الزندقة .

تميز العصر العربى الأموى بتعصب العرب على الموالى والفرس . ومن أسباب تعصب العرب غيرتهم على الإسلام واللغة العربية . أما غيرتهم على الإسلام : فقد شعر العرب فى قرارة نفوسهم أن بعض الموالى لم يعتنقوا الإسلام لاقتناعهم بمبادئه القويمة ، ولكن لمصالح شخصية ذاتية . فيذكر

(١) الفهرست ص ٢٧٢ .

كريمر [١] أن بعض الموالى ظلوا مخلصين فى قرارة نفوسهم لمعتقداتهم الدينية القديمة ، وقبلوا الإسلام ظاهرياً فقط . ويقول ديومبين [٢] إن الملاك من الموالى إعتنقوا الإسلام ليخضعوا للنظام الإسلامى ولكنهم احتفظوا بدينهم وعاداتهم .

المجوس فى العصر العباسى :

كانت هناك دوافع سياسية لثورات الموالى الفرس على الحكم الأموى العربى . فقد ظهر بين الموالى الفرس نزعة قومية تدفعهم إلى إحياء المجد الفارسى القديم ، وفى ذلك يقول ابن حزم [٣] : « إن الفرس كانوا من سعة الملك وعلو اليد على جميع الأمم وجلالة الخطر فى أنفسهم حتى أنهم كانوا يسمون أنفسهم الأحرار والأبناء ، وكانوا يعدون سائر الناس عبيداً لهم . فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدى العرب ، وكانت العرب أقل الأمم عند الفرس خطراً ، تعاظمهم الأمر وتضاعفت لديهم المصيبة ، ورأموا كيد الإسلام بالمحاربة » .

ظهرت حركات الزندقة فى العصر العباسى الأول بصورة خطيرة ، تهدد كيان الدولة العباسية والمجتمع الإسلامى ، فتعاليم الزنادقة تبعد تماماً عن تعاليم الإسلام وعقائده ، وتقوم على نوع من الديمقراطية الفاسدة ، التى تبيح المحرمات وتعبث بالآداب الاجتماعية ، وتعرض الحياة السياسية والاجتماعية للانهيار .

اختلف معنى الزندقة على مر العصور ، فقد كان العرب يطلقون لفظ

---

(١) الحضارة الاسلامية ص ٧٤ .
(٢) النظم الاسلامية ص ٧٤ .
(٣) الفصل فى الملل حـ ٢ ص ١١٥ .

زنديق على من ينفى وجود الله سبحانه وتعالى أو ينكر حكمته ، أو يقول إن له شريكا . وقيل إن الزنديق من يبطن الكفر ويظهر الإيمان . وكان لفظ زنديق يطلق أول الأمر على كل من يتأثر بالفرس فى عاداتهم وحضارتهم ويسرف فى العبث والمجون . ثم صار يطلق بعد ذلك على كل من يتخذ عقائد المانوية شعاراً له ، ويتمسك بعقيدة الثنوية ، وعبادة إلهين اثنين ، واتباع تعاليم مانى ، ثم توسعوا فى العصر العباسى فى إطلاق لفظ الزندقة ، فأصبح يطلق على من ينكر الألوهية أو يتظاهر بالظرف[1] ويرى الأستاذ أحمد أمين[2] أن كلمة الزندقة لم تكن ذات معنى واحد ، وإنما كانت تطلق على معان أربعة (١) التنسك والاستهتار والفجور مع تبجح فى القول ، يصل أحياناً إلى ما يمس الدين ، ولكن قائله لم يقله عن نظر ، وإنما قاله عن خلاعة ومجون . (٢ إتباع دين المجوس ، وخاصة دين مانى ، مع التظاهر بالإسلام ، كالذى أتهم به بشار وحماد وابن المقفع ٣) إتباع دين المجوس وخاصة مانى ، من غير التظاهر بالإسلام كالذى يرويه الجاحظ عن كتب الزنادقة . (٤) ملحدون لا دين لهم ، كالذى يحكيه المعرى . ولكن يبدو أن الكلمة — أكثرها كانت — تطلق على من اعتنق المانوية باطناً والإسلام ظاهراً ، ثم توسعوا فى معناها فأطلقوها على الاباحى ، والملحد الذى لا دين له .

كانت الكوفة — التى ظهر منها الدعاة العباسيون — فى مستهل القرن الثانى للهجرة مهداً لتشيع متطرف غير إسلامى . وهكذا لم يلبث الإسلام أن أصبح خليطاً من ديانات شتى ، على أثر اتصاله بالديانات والعقائد التى كانت سائدة فى بلاد العراق قبل ظهور الإسلام (كديانة الفرس القدماء

---

(١) حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام حـ ٢ ص ١٠٥

(٢) ضحى الاسلام حـ ١ ص ١٦١ .

Parsees والمانوية والصابئة وغيرها) . وذلك للتوفيق بينه وبين تلك الديانات المختلفة . وكان الدعاة يقومون بنشر الدين الإسلامى بين الناس بحماس وحمية رغم هذا التغير الذى طرأ عليه فى ذلك الحين ويدافعون عنه بإخلاص وغيرة . يدل على ذلك ما كان الحكم بالإعدام على كثير من الغلاة والمبتدعين منذ أيام على بن أبى طالب إلى عصر المنصور العباسى[1] .

ارتبطت الزندقة بالمجوسية عامة والمانوية خاصة . فالجاحظ الذى عاش عصر المأمون تحدث عن كتب الزندقة فوصفها وصفاً دقيقاً ، يشابه تماماً ما نعلمه عن كتب المانوية . ثم جاء الأصفهانى بعده (+ ٣٤٨ هـ) فتحدث عن الزنادقة فى كتابه الأغانى[2] فقال إنهم « كانوا يعرفون بالثنوية وعبادة إلهين اثنين ، واتباع تعاليم مانى » . كما أن ابن النديم فى كتابه (الفهرست) يذكر أن كلمة الزنادقة كانت تطلق على أصحاب مانى ومعتنق مذهبه ، وليست كلمة عامة تطلق على كل كافر أو ملحد .

أما من الناحية اللغوية ، فيذكر الجوهرى فى الصباح : الزنديق من الثنوية وهو معرب ، والجمع الزنادقة ، وقد تزندق ، والاسم الزندقة » . وجاء فى لسان العرب . « الزنديق القائل ببقاء الدهر ، فارسى معرب (زَنْدَكَر) أى يقول ببقاء الدهر . ويرى البعض أن كلمة زنديق فى الأصل معناها بالفارسية الذى يتبع زند ، ثم أطلق على المانوية ، لأنهم كانوا يأخذون زند وغيره من الكتب المقدسة ، ويشرحونها على مذهبهم بطريقة التأويل .

كانت الدوافع الى الزندقة فى العصر العباسى مختلفة منوعة ، فقوم دعاهم إليها دين ألفوه قديماً وهو دين المجوسية . وكان لهم فيه آباء عديدون

---

(١) فان فلوتن : السيادة العربية ص ٩٦ . (٢) الأغانى حـ ٣ ص ٧٣ و٨٦ .

وكانت لهم عادات وتقاليد أخذها الخلف عن السلف ، ولكنهم أسلموا ليصلوا إلى المناصب الكبرى، دون أن يدخل الإيمان قلوبهم ، واتخذوا الإسلام ثياباً ظاهرياً يخلعوها إذا خلوا الى أهليهم ، وهم إذا أمكنتهم الفرصة كادوا للإسلام والعرب ، ودعوا للشعوبية والمجوسية[1] .

من الأسباب التى أدت الى انتشار الزندقة ، أنها كانت وسطاً بين النصرانية والزرادشتية ، أتباع زرادشت أحد أبناء الفرس ، وأن ذلك كان سبباً فى تأثير الزندقة فى أهل هذه النحل ، كما أن شعائرها كانت قريبة الشبه بشعائر الإسلام ، فإن المانوى كالمسلم له عدد من الصلوات فى اليوم والليلة (أربع أو سبع) ، كما كانت لهم طهارة قبل الصلاة كالوضوء عند المسلمين .

وأشهر أنواع الزنادقة فى العصر العباسى من كانوا يتظاهرون بالإسلام بينما هم لا يزالون على الدين الفارسى وهو المجوسية ، وخاصة مذهب مانى. ذلك أنه كان فى ذلك العصر طائفة لم تؤمن بالإسلام ولكن آمنت بسلطانه ، ورأت أن لاسبيل لنيل الجاه والسلطان والمال إلا بالإسلام فاعتنقته ظاهراً وظلت تخلص لدينها القديم . وقوم من هؤلاء كان لهم غرض أعمق من هذا ، إذ رأوا أنهم لا يستطيعون إفساد العقيدة الإسلامية إلا بالإنتساب اليها أولا حتى يؤمن جانبهم ، وحتى يسهل على النفوس الأخذ بقولهم ، ثم هم بعد ينفثون تعاليمهم على أشكال مختلفة ، طوراً فى العلم والدين ، وطوراً فى الأدب ، وطوراً فى وضع مثالب العرب ، ومن حين لآخر كان يعثر على بعضهم فينكل بهم ، ولكنهم لا يبيدون ، أحياناً يعملون أفراداً ، وأحياناً يعملون جماعات .

من هؤلاء الزنادقة : عبد الكريم بن أبى العوجاء الذى وضع ألف

---

(٣) احمد امين : ضحى الاسلام حـ ١ ص ١٦٢ .

حديث نبوى مكذوب واعترف بجريمته فقتله المنصور . وحماد الراوية الذى أفسد الأدب واللغة . وصالح بن عبد القدوس الذى دس معانى الزندقة فى الأشعار . ويونس بن أبى فروة الذى ألف كتابا فى مثالب العرب والإسلام ليتقرب به إلى ملك الروم . وكان هؤلاء وأمثالهم يتزندقون تزندقا علميا ، فهم يدينون بمانى أومزدك ، ويؤمنون بالنور والظلمة ، وبعبارة عامة يدينون بدين المجوس عن علم ، ثم يتظاهرون بالإسلام تقية ، أو توسلا إلى إضلال الناس[1] .

تفشت الزندقة فى عهد الخليفة العباسى المهدى ، فأنشأ ديواناً عهد به إلى رجل أطلق عليه «صاحب الزنادقة» وأمره بالقضاء عليهم ومحو تعاليمهم ، وألف المهدى هيئة علمية لمناظرة الزنادقة ووضع الكتب للرد عليهم . وأوصى المهدى ابنه موسى الهادى بتتبع الزنادقة والقضاء عليهم ، وهذه الوصية تبين حقيقة الزنادقة ومبادئهم ، وهى : « يابنى ، إن صار لك هذا الأمر فتجرد لهذه العصابة — يعنى أصحاب مانى — فإنها مرقة تدعو الناس إلى ظاهر حسن ، كاجتناب الفواحش والزهد فى الدنيا والعمل للآخرة ، ثم تخرجها إلى تحريم اللحم ومس الماء الطهور وترك قتل الهوام تحرجا وشحوبا ، ثم تخرجها من هذه إلى عبادة اثنين ، أحدهما النور والآخر الظلمة ، ثم تبيح بعد هذا نكاح الأخوات والبنات والاغتسال بالبول وسرقة الأطفال من الطرق ، لتنقذهم من ضلال الظلمة إلى هداية النور . فارفع فيها الخشب ، وجرد فيها السيف ، وتقرب بأمرها إلى الله لاشريك له . فإنى رأيت جدك العباس فى المنام قلدنى سيفين ، وأمرنى بقتل أصحاب الاثنين »[2]

لم تقتصر الزندقة على الفرس ، بل اعتنقها بعض العرب ، ومنهم صالح

---

(١) أحمد أمين : ضحى الاسلام حـ ١ ص ١٥٧ .
(٢) الطبرى حـ ١٠ ص ٤٢ .

ابن عبد القدوس ، ومطيع بن أياس الشاعر الذى عاش فى عصر المنصور والمهدى . على أن الناس فى العصر العباسى أفرطوا فى الرمى بالزندقة . وكانت الخصومة السياسية والدينية والأدبية سبباً فى الرمى بالزندقة .

من أشهر حركات الزنادقة المرتبطة بالمجوسية فى العصر العباسى: الراوندية والمقنعية ، والخرمية . أما الراوندية فقد ظهروا فى عهد أبى جعفر المنصور ونادى زعيمهم الأبلق أن الروح التى كانت فى عيسى صارت فى على بن أبى طالب ثم الأئمة إلى ابراهيم بن محمد (سبط العباس عم النبى وأنهم آلهة ، واستحلوا الحرمات . وفى عهد أبى جعفر المنصور أعلنوا أنهم يعبدونه . وقاوم المنصور الراوندية وسجن عدداً منهم ، فتجمع باقى الراوندية واقتحموا السجن وأطلقوا سراح زملائهم ، وخرج المنصور بنفسه لقتالهم وكاد يقتل[١]

كان المنصور ينظر إلى الراوندية كأعداء سياسيين للدولة العباسية ، لأنهم من أتباع عدوه اللدود أبى مسلم الخراسانى الذين يعملون على تحويل الخلافة إلى ملك كسروى ، كما كان ينظر إليهم باعتبارهم زنادقة ، يريدون أن تعود المجوسية أو شكل من أشكالها ، كالزرادشتية أو المانوية أو المزدكية أو غيرها ، فعاملهم كما عامل أبا مسلم وقتلهم شر قتلة . إلا أنه لم يستطع مع ذلك أن يقضى عليهم قضاء تاماً ، فظهروا فى صور مختلفة نراها فى مثل ثورات المقنع الخراسانى وبابك الخرمى وغيرهما[٢] .

المقنعية : فى عصر الخليفة العباسى المهدى (١٥٨ — ١٦٩ هـ) ظهر فى خراسان رجل قبيح الخلقة كان يضع على وجهه قناعا من ذهب ، ولذا كان يسمى المقنع ، ادعى الألوهية ، وزعم أن الله خلق آدم فتحول فى صورته ، ثم فى صورة نوح ، ثم إلى صورة ابراهيم ، ثم إلى صورة الأنبياء على التوالى

---

(١) الطبرى حـ ١٠ ص ٣٠٧ .
(٢) حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام حـ ٢ ص ٩٤ .

ثم إلى صورة أبى مسلم الخراسانى ، ثم إلى صورته هو ، وزعم أنه يتنقل فى الصور ، لأن عباده لا يستطيعون رؤيته على طبيعته وإلا احترقوا بنوره . وأسقط المقنع الصلاة والزكاة والصوم والحج وأباح للناس الأموال والنساء ، وأمر رعاياه باعتناق التعاليم المزدكية ، وأمرهم بعبادته والسجود له .

إستطاع المقنع أن يجمع حوله بعض السذج من أهالى بخارى وسمرقند والأتراك الذين كانوا يقيمون حول بحر قزوين ، واعتصم بقلعة منيعة ، فبعث الخليفة المهدى بجيش كثيف حاصر القلعة بما فيها من متاع ودواب ، ثم أذاب النحاس والسكر فى تنور ، وجمع نساءه وأولاده ، وطلب ممن أحب من أصحابه أن يلقوا بأنفسهم فى النار ليرتفعوا إلى السماء . وقال لهم إنى صاعد إلى السماء فمن أراد يصحبنى فليشرب من هذا الشراب . وسقاهم شراباً مسموما شرب هو منه ، فماتوا جميعاً ، وألقى نساءه وأولاده فى النار ، ثم ألقى بنفسه فيها سنة ١٦٩ هـ .

من حركات الزندقة المتصلة بالمجوسية حركة الخرمية البابكية نسبة إلى بابك الذى أدعى الألوهية فى عهد الخليفة العباسى المأمون . وكانت طائفة الخرمية قد أسسها مزدك فى عهد قباذ أبى كسرى الأول المعروف بأنوشروان ، ولذا كانت تسمى الخرمية المزدكية تمييزا لها عن الخرمية البابكية .

يرى البعض أن اسم الخرمية نسبة إلى (خرما) امرأة مزدك التى اضطلعت بنشر عقائد هذا المذهب بعد مقتل زوجها . أما (فان فلوتن)[1] فيرى أن هناك صلة بين إسم الخرمية الذى قد يكون مشتقا من (خرم) وهو اسم لمدينة ببلاد ميديا ، أو كلمة (خرم) ومعناها (لذيذ) . فإذا ما تكلمنا عن (خرم دينيا) تحدثنا عمن لا يعرفون ديناً غير اللذة . وقد

---

(١) السيادة العربية ص ٩٩ .

جعلت هذه الطوائف للنساء مكانة أرقى من مكانتهن فى البلاد الشرقية وأباحت لهن الظهور فى المجتمعات الدينية بقصد الإستمتاع بظهورهن فى تلك الإجتماعات .

من مبادىء الخرمية البابكية تحويل الملك من العرب المسلمين إلى الفرس المجوس ، وكأنهم بهذه المبادىء يحاربون الإسلام والعروبة . فيذكر المؤرخ المقدسى[1] : (فإن الخرمية احتالوا فى إزالة الملك إلى العجم ، فموهوا هذه النحلة وزينوها للجهال ودعوا إليها فى السر ، ومحصول أمرهم التعطيل والإلحاد » . كما يقول المقدسى عنهم أيضاً :[2] « هم فرق وأصناف غير أنهم يجمعهم على اختلاف شرائعهم وأديانهم يحصلون على روح واحدة ، وأن الوحى لا ينقطع أبداً ، وكل ذى دين مصيب ما لم ير كيد نحلتهم وخسف مذهبهم ويعظمون أمر أبى مسلم ، ويلعنون أبا جعفر على قتله ، ويكثرون الصلاة على فيروز ، لأنه من ولد فاطمة بنت أبى مسلم . ولهم أئمة يرجعون إليهم فى الأحكام ورسل يدورون بينهم يسمونهم (فريشتكان) ، ولا يتبركون بشىء مثل تبركهم بالخمور والاشربة . وأصل دينهم القول بالنور والظلمة . ووجدنا منهم من يقول بإباحة النساء . وإباحة كل ما يستلذ النفس وينزع إليه الطبع » .

وتحدث نظام الملك فى كتابه (سياسة نامه) عن تعاليم الخرمية فقال: رفض الخرمية جميع الفروض الدينية كالصلاة والصيام والزكاة والحج ، وأباحوا لأنفسهم شرب الخر والمحرمات وشيوعية النساء ، وهى مبادىء مزدك . وعملوا جهدهم للقضاء على الإسلام قضاء تاماً . كما أنهم لم يشعروا بأى ميل أو عاطفة إزاء أحد من أهل البيت ، وإن كانوا قد اتخذوا من

---

(١) البدء والتاريخ حـ ٥ ص ١٢٤ .
(٢) المراجع السابق حـ ٤ ص ٣٠ — ٣١ .

أسمائهم سبيلا إلى جذب الأنصار إليهم ، لنشر دعوتهم التى ترمى إلى هدم الإسلام .

كان بابك تابعاً لجاويدان أحد زعماء الخرمية ، فلما مات جاويدان ، عينت زوجته بابك فى منصب زوجها وزعمت أن روح جاويدان حلت فى جسد بابك ، وأمرت الخرمية بطاعته ، ومالبثت أن تزوجت منه . وتمكن بابك فى عهد الخليفة المأمون أن يسيطر على أذربيجان ومعظم بلاد إيران وتحالف مع ملك أرمينية وامبراطور الدولة البيزنطية ، وأنضم اليه قطاع الطرق والجند المرتزقة وأتباع النحل الزائفة ، وبلغ عدد فرسانه عشرين ألف فارس عدا المشاة ، وكان يضطهد مخالفيه بقسوة ، وبلغ عدد من قتلهم . فى رأى المقدسى ، مليون نسمة ، وهزم عدة جيوش للخليفة .

هرب بابك الى سهل بأرمينية وتتبعه سهل بن سنباط حتى تمكن من اعتقاله وسلمه للأفشين قائد الخليفة المعتصم الذى أسرع يبشر الخليفة بالنبأ ، فدقت طبول الفرح ، وضج الناس بالتكبير ، وبعثت الكتب الى الانصار تنبئهم بهذا الفتح والنصر . ووصل الافشين بأسيره الى سر من رأى سنة ٢٢٣ هـ ، وسجد المعتصم عند رؤية بابك شكراً لله ، وانتهى أمر بابك بتعذيبه بتقطيع أطرافه ثم قتله وصلبه [١] .

لعل أخطر ثورات الزنادقة فى العصر العباسى ، ثورة الافشين فى عصر الخليفة المعتصم ، وقد قام بثورته بالتحالف مع المازيار رئيس فرقة المحمرة . وهى فرقة من فرق الخرمية أتباع بابك الخرمى .

كان مبدأ ظهور المازيار فى عصر المأمون ، فقد ولاه بعض أطراف طبرستان وسماه محمداً . ولكنه فى عهد الخليفة المعتصم اتصل ببابك الخرمى

---

(١) المسعودى : مروج الذهب حـ ٢ ص ٣٥٠ ـ ٣٥١ .

وعرض عليه مساعدته فى ثورته ضد الخليفة العباسى . ثم طلب المازيار البيعة من الناس ، فلم يقبلوا على بيعته ، فأكرههم على البيعة ، وأخذ منهم الرهائن ، وحرض عمال الأراضى الزراعية على أصحابها والقيام بالسلب والنهب[1] .

انتهز المازيار فرصة انشغال الدولة العباسية بحرب بابك الخرمى ، فاتصل به وبالأفشين سراً ، وعمل ثلاثتهم على محو الإسلام والتخلص من حكم العرب . فهذه الثورة وأمثالها كانت فى الواقع ثورة دينية سياسية معاً ، يراد بها الاستقلال عن الدولة العباسية ، وهى فى نفس الوقت حركة شعوبية ، تعمل على حط شأن العرب وازالة دينهم ودولتهم[2] .

نجح المازيار فى إشعال نيران الثورة فى الأطراف الشرقية من الدولة العباسية . وكرس المعتصم جهوده للقضاء على هذه الفتنة الجامحة ، وتمكن بعد جهد من القبض على المازيار وصلبه فى مدينة سرّ من رأى بجوار جثة بابك . وذكر المسعودى[3] أن المازيار بعد أن قبض عليه « أقر على الأفشين أنه بعثه على الخروج والعصيان ، لمذهب كانوا اجتمعوا عليه ، ودين اتفقوا عليه من مذاهب الثنوية والمجوس » .

أما الأفشين فموطنه الأصلى بلاد أشروسنه أحد أجزاء بلاد ما وراء النهر وكان هو وأبوه فى خدمة المعتصم ، وقاد الأفشين فرقة من الجيش الذى غزا عمورية ، وابلى بلاء حسناً فقربه الخليفة إليه ، وعهد إليه بحرب بابك الخرمى .

كان الأفشين كما كان بابك والمازيار من قبله — يسعى إلى الاستقلال ببلاده ، والخروج على الإسلام والدولة العباسية معاً ، كما كان يعتقد أنه

---

(١) الطبرى حـ ١٠ ص ٣٤٩ . (٢) مروج الذهب حـ ٢ ص ٣٥٤ .

لا سبيل إلى نصرة المجوسيـــة إلا على أيديهم . ويقول (براون) إن الأفشين لم يكن فى ميوله ونشأته الفارسية أقل وطنية وعطفاً على الفرس من هذين الرجلين الذين جمعاه فى نهايته المحزنة » .

أبدى الأفشين تعصبه لوطنه ، وكراهيته للعروبة والإسـلام . أما تعصبه لوطنه ، فقد كان يرسل كل ما يصله وهو يحارب بابك ، من مال أو هدايا إلى بلاده [1] . أما كراهيته للعرب والإسـلام . فقد عبر عنها فى قوله : « إنى قد دخلت لهولاء القوم (العرب) فى كل شىء أكرهه ، حتى أكلت منهم الزيت ، وركبت الجمل ، ولبست النعل ، غير أنى إلى هذه الغاية » يعنى لم يطلّ ولم يختتن » . وكان الأفشين يقول عن العرب : « العربى بمنزلة الـكلب » أطرح له كسرة ثم أضرب رأسه بالدبوس » [2] . وقد وجدوا فى داره أصناماً كان يعبدها ، كما وجدوا كتب الزنادقة ، وكان يأكل الحيوانات المخنوقة زاعماً أن لحمها أرطب من المذبوح ، وكان لا يذبح على طريقة المسلمين ، فيأتى فى كل يوم أربعاء بشاه فيقطعها بسيفه من وسطها إلى نصفين ، وكان يكتب رسائله إلى قومه ويبدأها بعبـارة : « من إله الآلهة إلى عبده فلان » ، كما ترك الأفشين الاختتان .

عقد الخليفة المعتصم محاكمة للأفشين ، وتولى الخليفة بنفسه رئاسة المحكمة ، وانضم إليه الوزير محمد بن عبد الملك الزيات ، والقاضى بن أبى دؤاد ، وحضرها كثير من كبـــار شخصيات الدولة العباسية . ووجهت المحكمة اتهاماتهـا للأفشين ، وهى تدور حول النقاط السابق لنا تعدادها ، ومنحته المحكمة فرصة الدفاع عن نفسه بعد توجيه كل إتهام على حدة . وقد انتهت المحاكمة بالحكم على الأفشين بالسجن ، فظل به فترة ومات فى سجنه ، وقيل مات مسموماً ، ثم أخرجت جثته ،

---

(١) الطبرى حـ ١٠ ص ٣٦٣ . (٢) الطبرى حـ ١٠ ص ٣٦٦ .

فصلبت ، وأحرقت مع الأصنام التى وجـــدت فى داره ، وذلك فى عام ٢٢٦ هـ[١] .

علق وليام ميور [٢] على محاكمة الأفشين فقال : « إن المحاكمة تبين بجلاء كيف تمسك أهالى ولايات الدولة العباسية الشرقية بدينهم الوثنى ، وذلك لبعدهم عن مركز هذه الدولة ، ولأن الإسلام لم يكن قد وصل إلى قلوبهم ، ثم لتحصنهم فى بلادهم المنيعة ، وقربهم من الأتراك الوثنيين . وقد خلص (ميور) من ذلك برأى هو أن إسلام بعض أهالى فارس إنما كان إسلاماً ظاهريا ، وأنهم كانوا لا يزالون متمسكين بعقائدهم المجوسية القديمة ، وأنهم كانوا ينتهزون الفرصة المواتية ليرتدوا عن الإسلام ، ويعودوا الى دينهم القديم . ومصداق ذلك ما رأيناه من ظهور هذه الحركات التى أشعل نيرانها سنباذ المجوسى ، وأنصار أبى مسلم الخراسانى وبابك الخرمى.

يذكر (بارتولد [٣] أن الطاهريين (٢٠٥ — ٢٦٠ هـ = ٨٢١ — ٨٧٣ م كانوا أول أسرة إسلامية من أصل فارسى ، لم يكونوا ينظرون الى الأدب الفارسى نظرة طيبة ، ويرون العناية به مخالفة للدين . ولكن ازدياد نشاط المانوية لا فى خراسان التابعة لهم مباشرة فحسب ، بل فى البلاد الأخرى أيضاً (كانت السلطة العسكرية فى بغداد بيد أحد الطاهريين بعد انتقال الخلفاء الى سامرا) أدى الى ازدهار الحضارة عامة وازدهار الحضارة الإيرانية خاصة . وفى أيامهم انتقلت عاصمة خراسان من مرو الى نيسابور التى صارت فى مدة وجيزة إحدى مراكز الحضارة . وكانت مدينة بيهق — اسمها الحالى سبزوار — أهم مراكز الدعاية الشيعية ، وقد أنجبت كثيراً من العلماء والكتاب منذ القرن ٣ هـ .

---

(١) تاريخ الطبرى حـ ١٠ ص ٣٦٥ — ٣٦٧ ، ابن الاثير : الكامل حـ ٦ ص ١٩٠ .

(٢) The Caliphate, p. 518.

(٣) تاريخ الحضارة الاسلامية ص ١٠٠

فى أواخر القرن الثالث الهجرى (نهاية ٨ م) أسلم سامان أمير بلخ وكان زردشتيا وأسس مملكة إسلامية هى الدولة السامانية ، وفى سنة ٨٧٣م دخل جمع كبير من أهل الديلم الزردشتيين فى الإسلام على يد ناصر الحق أبى محمد ، وفى سنة ٩١٢ م دعا الحسن بن على — من الأسرة العلوية التى كانت تحكم الشاطىء الجنوبى لبحر قزوين أهل الديلم وطبرستان الى الإسلام، فاستجاب معظمهم ، وكان بعضهم وثنيين والبعض الآخر زرادشتيين ، وفى سنة ٣٩٤ هـ = ١٠٠٣ م اعتنق الشاعر المشهور مهيار الديلمى الاسلام على يد الشريف الرضى ، وكان من عبدة النار . وقبله وفى أوائل القرن الثانى للهجرة (أوائل ٨ م) خرج من الزرادشتيين الى الإسلام عبد الله ابن المقفع ، وقد بقى بعض الزرادشتيين فى فارس الى اليوم ، وقد قدر بعضهم عبدة النار فيها من عهد قريب بنحو ٨٥٠٠ نسمة .

عمل الملوك السامانيون على انتعاش الأدب الإيرانى (٢٦٢ — ٣٦٨ هـ = ٨٧٥ — ٩٩٦ م) خاصة وقد انتقل الحكم فى خراسان وفى تركستان من حكم الطاهريين الى السامانيين . وقد جذبت عاصمتهم بخارى كثيراً من الشعراء والعلماء ، فصارت الدولة السامانية من أعظم الدول نظاماً فى القرن الرابع الهجرى . نشأ السامانيون فى بلخ وكانوا إيرانيين . وكانت اللغة الفارسية هى اللغة الرسمية فى أيام معظم هؤلاء الحكام ، ولكنهم اهتموا أيضاً باللغة العربية . وفى عهدهم ترجم تفسير الطبرى الى الفارسية ، وأفتى الناس بجواز الصلاة باللغة الفارسية ، وادعى علماء الدين بأن الأنبياء الأوائل حتى اسماعيل جد العرب كانوا يتكلمون الفارسية . وكان شعراء إيران المنشدين فى قصور الملوك السامانيين يذيعون آراء لا تتفق مع الإسلام . فالشاعر الرودكى السمرقندى كان يقول : « لا معنى لتحويل الوجه إلى القبلة والقلب منجذب إلى القدسية المجوسية . ويجب الإيمان بحب الإله العام لجميع الأديان ، فإن إلهك يقبل حبك ولكن لا يقبل صلاتك » .

وكان ينادى ببعض التعاليم المجوسية ، فيزعم أن السماء والارض هما أبو الإنسان وأمه . أما الشاعر الاقيق الذى حاول نظم الأساطير الإيرانية فقد صرح بعلاقته بالعقيدة الزردشتية قائلا : أنه يفضل الخمر وشفتى حبيبته ودين زرادشت على كل شيء آخر . أما أبو الريحان البيرونى (٣٦٣ - ٤٤٠ هـ) المعاصر لابن سينا ، فقد أظهر تعصبة للفرس أثناء حديثه عن الحضارات السابقة للاسلام وهدم العرب لها ، وأبدى محبتة للمانوية[١] .

تحدث (أرنولد)[٢] عن تحول المجوس الى الاسلام فقال : على الرغم من قلة المعلومات التى وصلت الينا عن تحول المجوس إلى الاسلام ، فيبدو أن انتحالهم لهذا الدين كان بمحض ارادتهم ، كما يظهر أن أتباع ديانة زرادشت قد تمتعوا بوجه عام بالحرية الدينية إلى نهاية العصر العباسى . حتى إذا جاء الغزو المغولى بدأ فى تاريخهم عصر أكثر إظلاما من العصر الذى سبقه ويبدو أن ألوان البؤس التى لحقت بالمسلمين من الفرس أنفسهم قد ولدت فى نفوسهم روح التعصب الدينى وعرضت أتباع زرادشت من حين إلى حين لتحمل الآلام التى تنطوى على القسوة .

عومل المجوس فى القرن الرابع الهجرى كأهل ذمة ، فكان لهم كاليهود والنصارى رئيس يمثلهم فى قصر الخلافة وعند الحكومة . ويقارن (آدم متز)[٣] . بين هذه الطوائف الثلاث فيقول : أما اليهود فأنهم استطاعوا أن يستنقذوا مركزهم السياسى من خلال الاتحاد المفكك الذى كان للامبراطورية البابلية رغم ما تعرضوا له من مخاطر وتقلبات . أما

---

(١) بارتولد : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ١٠٩

(٢) الدعوة الى الاسلام ص ٢٤٠ .

(٣) الحضارة الاسلامية فى القرن ٤ هـ ص ٦٠ — ٦١ .

المجوس فهم بقية لعدو باسل مستقل لم يتم التغلب عليه فى مواطنه البعيدة المنال . أما النصارى فقد كانوا من قبل يخضعون لحكم الساسانيين على مايشبه حال أهل الذمة، وكانت الظروف التى عاشوا فيها أقسى عليهم من غيرهم وأقل حفظا لمصالحهم من اليهود أو من الشعوب فى الولايات المستولى عليها من الروم . وكانت الرئاسة بين المجوس واليهود وراثية ، وكان رؤساؤهم يلقبون بلقب الملك ، وكانوا يدفعون الضرائب لرؤسائهم خلافا لما كان الحال عليه بالنسبة للنصارى . وقد قال بطريرك اليعاقبة فى مجلس له مع الخليفة : إن رؤساء المجوس واليهود حكام دنيويون ، وإنه هو رئيس روحى ، ولا يستطيع إلا فرض العقوبة الروحية ، كأن يحكم بعزل القسس والأساقفة من مناصبهم ، أو يمنع العلمانيين من حضور البيعة .

كان عدد المجوس كبيراً فى العراق فى القرن الرابع الهجرى[1] وخاصة فى جنوب فارس . وفى سنة ٣٦٩هـ = ٩٧٩م وقعت فتنة عظيمة بينهم وبين عامة شيراز من المسلمين ، ونهبت فى هذه الفتنة دور المجوس ، وغضب عضد الدولة لما نزل بالمجوس وعاقب كل المعتدين عقابا صارما[2] كانت شيراز مدينة هادئة ، وقد عجب المقدسى من أنه لم ير فيها على مجوسى رداء يميزه عن غيره ، وكانت الأسواق تزين فى أعياد المجوس : وتركز المجوس فى فارس فى مدينة القرنين فى المفازة التى بشرق فارس ، وكانت حرفتهم الرئيسية كرى الحمير[3] .

---

(١) المقدسى ص ١٢٦ .
(٢) ابن الاثير : الكامل حـ ٨ ص ٥٢٢ .
(٣) قدامه : الخراج (طبعة ليدن) ص ٢٠٩ .